مدخل إلى رسالة كولوسي

تقع مدينة كولوسي في وادي نهر ليكوس، أي ما يعرف اليوم بغرب تركيا، وتحديدًا في المناطق الداخليّة التي تبتعد عن الساحل ومدينة أفاسوس وهي ليست بعيدة عن مدينة اللاذقية الواقعة في المنطقة نفسها. وبما أنّ مدينة كولوسي قد تعرّضت إلى زلزال مدمّر سنة 61 للميلاد، فمن المرجّح أنّ هذه الرسالة قد كُتبت قبل ذلك التاريخ من قبل الحواري بولس حوالي سنة 60 للميلاد أثناء فترة اعتقاله في منزله في روما. وهي موجّهة تحديدًا إلى المؤمنين في مدينة كولوسي.

وتشبه هذه الرسالة إلى حدّ كبير تلك الرسالة التي كتبها بولس إلى المؤمنين في مدينة أفاسوس. ومن المرجح أن بولس كتبها تزامنًا مع الفترة التي كتب فيها رسالته إلى فليمون، أمّا رسالة أفاسوس فأُرسلت إلى المنطقة نفسها، وحملها طيخي، الشّخص نفسه الذي حمل هذه الرّسالة. لذا، فمن الأفضل قراءة مداخل هذه الرّسائل: رسالة كولوسي، رسالة فليمون ورسالة أفاسوس معًا.

لم تبرز مدينة كولوسي الصّغيرة في الفترة الرّومانية، ولم تكن تمثّل مركزا حضاريا مهمّا مثل روما والإسكندريّة. وهناك دلائل تشير إلى وجود الدّيانة اليهوديّة في محيط مدينة كولوسي منذ القرن السّادس قبل الميلاد. ويبدو أنّ اليهود كانوا يقلّدون بطرق متعدّدة الممارسات الوثنيّة التي كانت تحيط بهم، الدّينيّة منها والثّقافيّة. وكانوا يمزجون أفكارا وثنيّة عديدة في معتقداتهم الدّينيّة. واتّخذ الوثنيّون بدورهم بعض ممارسات اليهود كجزء من شعائرهم الدّينيّة. وبما أنّ النّاس كانوا يخافون خوفًا شديدًا في هذه المنطقة من الجنّ والنّجوم والقدر واللّعنات والآلهة المتعدّدة، فقد حاولوا حماية أنفسهم باستدعاء الملائكة أو غيرها من الكائنات الغيبيّة الخيّرة لتساعدهم وتتوسّط لهم لدى الإله الأعظم الذي يتفوّق في قوّته على الآلهة كلّها حسب اعتقادهم. وكانوا يحملون التمائم والتعاويذ لحمايتهم، ويمارسون شعائر خرافيّة تتعلّق بالسّحر والقوّة بحثا عن الحماية أو طلبًا لمعرفة غيبيّة. وكان النّاس يمارسون أشكالاً مختلفة من الطّقوس والشّعائر بغية إدخال شخص ما في

عضويّة جماعاتهم كطريقة لاستمالة الكائنات غير المرئيّة، وكثيرًا ما أضاف النّاس الصّيام والتزهّد والتّنسّك وغيرها من الممارسات إلى هذه الشّعائر الوثنيّة.

وأخطأ العديد من الوثنيّين حين اعتبروا أنّ الحركة الجديدة التي تنتمي إلى السيّد المسيح هي حركة تزهّد، ويعود هذا الاعتبار الخاطئ إلى موقف أتباعه (سلامه علينا) تجاه الخطيئة الجنسيّة والسُكْر، وما من شكّ أنهم رأوا الرّأي نفسه في ما يتعلّق بالدّيانة اليهوديّة. لذلك اتّخذوا الممارسات اليهوديّة نفسها كطريق للتزهّد والتنسّك.

أسّس زُهري، رفيق بولس، جماعة المؤمنين في مدينة كولوسي (1: 7، 4: 12)، ولحق ببولس عند اعتقاله في روما (انظر رسالة كولوسي 4: 12 وفليمون 23 وسيرة الحواريين 28: 16 – 31). وعندما كتب بولس هذه الرّسالة، كان زُهري قد عاد لتوِّه من وادي نهر ليكوس، وهكذا أخبر بولس بأحوال جماعات المؤمنين في المنطقة، ولئن حمل زُهري بعض الأنباء السّارّة عن هؤلاء المؤمنين، فقد حمل معه أيضا بعض الأخبار المتعلّقة بالمشاكل الكبيرة التي يتخبَّطون فيها. وانتشرت بعض التعاليم الخاطئة في كولوسي، وعالجها بولس في هذه الرّسالة. ومن الواضح أنّ بعض المؤمنين لا يزالون على ميلهم إلى الممارسات نفسها التي كانوا يتّبعونها قبل إيمانهم بالسّيّد المسيح (سلامُهُ علينا). فكانوا يدافعون مثلاً عن استدعائهم للملائكة بهدف حمايتهم أو للتوسّط بينهم وبين الله، ولهذه الأسباب ألحُّوا على المؤمنين بالانخراط في جماعات وثنيّة سرّيّة، لذلك كانوا يهملون تكريم سيّدنا عيسى، أو يقلّلون من مكانته معتقدين أنّه يحظى بالمكانة نفسها التي تحظى بها الملائكة، وتبعًا لذلك لا بدّ من استدعائه بالطّريقة نفسها التي تُستدعى بها الملائكة.

ورفض بولس بشدّة كلّ الذين يعلّمون هذه التّعاليم وكلّ ما يروّجون له، معتبرًا أنّهم ينقادون بوسوسة الشّياطين. إنّ المؤمنين في كولوسي باتّباعهم تعاليم هؤلاء الأشخاص المضلِّين، يعودون إلى الخضوع للكائنات الغيبيّة التي عايشوها عندما كانوا وثنيّين. ولكنّ بولس أخبر المؤمنين في رسالة كولوسي أنّ سيّدنا المسيح، بما أنّه كلمة الله الأزليّة، فقد وُجد قبل وجود هذه

الكائنات الغيبيّة، ومن خلاله تمّ خلقها جميعًا. لذلك فإنّ سيّدنا عيسى (سلامه علينا) يتفوُّق عليها كلّها.
وحصل المؤمنون على نصيب في دار الخلد بسبب قيامة السّيّد المسيح، كما حصلوا على وسائل تمكّنهم من الوصول إلى الفيض الرّبّاني. فالسّلطة التي يتمتّع بها السّيّد المسيح تكفي لحماية المؤمنين من قوّة الكائنات الغيبيّة في حياتهم اليوميّة. وفي المستقبل سيضع السّيّد المسيح (سلامه علينا) حدًّا للصّراع القائم بين النّاس والشّياطين، وعندئذٍ سيعمّ السّلام في الأرض والسّماء.

رسالة الحَواريّ بولُس
إلى أحباب الله في كولوسي

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس
إلى أحباب الله في كولوسي

1

الفصل الأوّل

تحيّة

[1] هذِهِ الرِّسالةُ مِن بولُسَ حَواريِّ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ بِأمرِ اللهِ، ومِن الأخِ تيموتاوي [2] إلى عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ، الإخوةِ المُخلِصينَ لِسَيِّدِنا المَسيحِ في مَدينةِ كولوسي، السَّلامُ عليكُم ورَحمةُ اللهِ أبينا الأحَدِ الصَّمَدِ.

شكر ودعاء

[3] نَحنُ نَحمَدُ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ لِمَولانا عيسى المَسيحِ حِينَ نَدعو لكُم دائمًا، [4] فقد عَلِمنا كَيفَ آمَنتُم بِهِ (سلامُهُ علينا)، ومَدى مَحبّتِكُم لِعِبادِ اللهِ الصّالِحينَ جَميعًا. [5] وأنتُم تَفعَلونَ هذا لأنّكُم على يَقينٍ بِما أعَدَّهُ اللهُ لكُم في السَّماءِ. ولقد صِرتُم على هذا اليَقينِ مُذ سَمِعتُم رِسالةَ الحقِّ، حينَ بَلَغَتْكُم البُشرى بِسَيِّدِنا عيسى. [6] إنّها تَنتَشِرُ وتُثمِرُ بَينَ النّاسِ في أنحاءِ المَعمورةِ كُلِّها، وكانَ هذا شأنُكُم مُذ سَمِعتُم وأدرَكتُم حَقيقةَ فَضلِ اللهِ على النّاسِ، [7] ولقد تَقَبّلتُموها عن أخينا العَزيزِ زُهري، رَفيقِنا في الدَّعوةِ،(٥) ذلِك العَبدِ المُخلِصِ الأمينِ لِسَيِّدِنا

---

(٥) كان زُهري (في اليونانيّة Epaphras) صديق بولُس ورفيقه في الدّعوة، وهو من بلَّغ رسالة سيّدنا عيسى إلى أهل كولوسي. وكان على الأرجح من أهل تلك المدينة (4: 12)، وقد

المَسيحِ، الّذي يَنوبُ عنّا أنا وتيموتاوي بَينَكُم في غَيابِنا عنكُم. [8] ولقد أخبَرَنا أخونا زُهري بِمَحبّتِكُم النّابِعةِ مِن رُوحِ اللهِ تُجاهَ الآخَرينَ. [9] ومُذ بَلَغَنا هذا الأمرُ، لم نَنقَطِع عن الدُّعاءِ مِن أجلِكُم، راجينَ مِن اللهِ أن تَكونوا حُكَماءَ مُدرِكينَ لِنَفَحاتِ رُوحِهِ، حَتّى تَغمُرَكُم حَقيقةُ ما يُرضيهِ. [10] ونَحنُ نَدعو لهذا لتَسلُكوا سُلوكًا يَليقُ بِسَيِّدِنا (سلامُهُ علينا) فتُرضونَهُ كُلَّ الرِّضا، وأنتُم تَقومونَ بأنواعِ الصّالِحاتِ كُلِّها بَينَما تَزدادُ مَعرِفتُكُم باللهِ. [11] فليُمْدِدْكُم تَعالى بِفَضلِ قُدرتِهِ الجَليلةِ بِالقوّةِ فتَتَمَكَّنوا مِن الصُّمودِ بِكُلِّ ثَباتٍ وصَبرٍ، وتَفرَحوا [12] شاكِرينَ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ، الّذي أهَّلَكُم للحُصولِ مَعَ بَقيّةِ عِبادِهِ الصّالِحينَ على نَصيبِكُم مِن نورِهِ تَعالى. (٦)

عظمة شأن السّيّد المسيح

[13] واللهُ نَجّانا مِن الشَّيطانِ ومِن أعوانِهِ الطّاغينَ في الظُّلُماتِ، وجاءَ بِنا فأصبَحنا بِفَضلِهِ في مَملَكةِ الحَبيبِ، الابنِ الرُّوحيِّ لهُ تَعالى، (٧) [14] الّذي فَدانا بِحَياتِهِ فغَفَرَ اللهُ ذُنوبَنا.

[15] إنّ السَّيِّدَ المَسيحَ هو ظِلُّ اللهِ الّذي لا تُدرِكُه الأبصارُ، وإنّهُ سَيِّدُ كُلِّ المَخلوقاتِ، (٨)

أمضى مدّة من الزّمن رفيقًا لبولُس أثناء إقامته الجبريّة في منزله في روما (انظر رسالة فِلِيمون، 23، 24 وسيرة الحواريّين 28: 16).

(٦) يتعمّد بولس في هذه الآية استخدام مصطلح من التوراة يشير إلى أرض كنعان التي ائتمنها الله لبني يعقوب بعد موت النّبي موسى عليه السلام. وكان اليهود في زمن سيّدنا عيسى (سلامُهُ علينا) يستخدمون المصطلح نفسه في تقاليدهم للإشارة إلى أنّهم سيحصلون على الجنّة في الآخرة. يستخدم بولس هذه المصطلحات ليؤكّد أنّ أتباع السيّد المسيح، أيّا كان انتماؤهم العرقي، هم من شعب الله الذين سيدخلون الجنَّة. استُخدمت كلمتا "النّور" و"الظّلام" للإشارة إلى الخير والشرّ والصِّراع القائم بينهما.

(٧) عبارة "الابن الرّوحي لله" الواردة هنا، هي ترجمة للعبارة اليونانيّة التي عُرّبت بصيغة "ابن الله". وهي موجودة في كتب الأنبياء الأوّلين وكانت لقبًا لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. وهذا المصطلح لا يشير إلى تناسل بشري، بل يشير إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع سيّدنا عيسى مع الله، ومقامه أمام ربّه مثل مقام البكر في العائلة. ويرى بعضُ المفسّرين في هذا تلميحًا إلى أنّه أيضا كلمة الله الأزليّة وقد أُرسل إلى الأرض ليصبح بشرا يولد من مريم العذراء.

(٨) يصف بولس سيّدنا عيسى (سلامُهُ علينا) هنا بـ"سيّد كلّ المخلوقات" وفي الترجمات

16 فبِهِ خَلَقَ اللهُ كُلَّ الكائِناتِ، سَواءٌ مِنها ما في الأرضِ وما في السَّماواتِ،
ما يُرى مِنها وما لا يُرى، مِن المَلائِكةِ والجِنِّ والشَّياطينِ وغَيرِها مِن الغَيبيّاتِ. (٩)
نعم، بِفَضلِهِ خَلَقَ اللهُ لهُ كُلَّ المَوجوداتِ، 17 هو الّذي سَبَقَ كُلّ شَيءٍ
وبِهِ يُحافِظُ اللهُ على كُلِّ المَخلوقاتِ، 18 وهو رأسُ الّذينَ اختارَهُمُ اللهُ في الجَماعاتِ،
وهو أوّلُ مَن أحيا اللهُ خالِدًا مِن بَينِ الأمواتِ،(١) ليَتَصَدَّرَ كُلَّ الكائِناتِ،
19 لقد رَضِيَ اللهُ أن تَفيضَ في مَولانا المَسيحِ كُلُّ ما لهُ مِن صِفاتٍ،
20 وبِفَضلِ ما قَدَّمَهُ على الصَّليبِ مِن تَضحياتٍ، أعادَ اللهُ النّاسَ إليهِ وأقامَ بَينَهُم المُصالَحات،
وبِتَضحيةِ السَّيّدِ المَسيحِ الحَليمِ، أعادَ اللهُ إليهِ كُلَّ ما في الأرضِ وما

التاريخيّة بـ"بكر المخلوقات كلِّها"، وكان اليهود يستخدمون العبارة ذاتها للتعبير عن الحكمة الإلهيّة. فعلى سبيل المثال، وصف الكاتب اليهودي "فيلون" كلمةَ الله بأنّها: "التعبير الصّادق عن ذات الله وابنه البِكر". ويمكن أن يكون مصطلح "البكر" في اللّغة اليونانيّة مرادفا لمعنى لقب "الابن الروحي لله" الذي أُطلق كلقب على المَلِك. ولا علاقة لمصطلح "البكر" بعمليّة الانجاب المألوفة، بل هو إشارة إلى سلطة الملقّب بالبكر. فكما يحظى الولد البكر بالأولويّة في العائلة دون بقيّة أفرادها، كذلك يتمتّع السّيّد المسيح بالسّلطة والتفوُّق على كلّ ما خلقه الله في الكون.

(٩) مصطلحات "الملائكة والجن والشياطين وغيرها من الغيبيات" تعادل مصطلحات "العروش" و"القِوى" و"الحكّام" و"السلطات" في النص اليوناني الأصلي وتشير إلى كائنات غيبيّة.

(١) يمكن لكلمة "الرّأس" أن تعني في اليونانيّة: "السّلطة" (2: 10)، أو "الجزء الأكثر احتراما وتشريفا"، أو "الأصل" أي مصدر الرّزق (2: 19). وكان الفلاسفة الرّواقّيون يقولون إنّ كلمة الله مثل العقل أو الرّأس المدبّر للكون، والكون بمثابة جسمه. ويصف النّص اليوناني السيّد المسيح بـأنّه "البكر من الأموات"، وأراد بولس بهذا التعبير أن يشير إلى أن سيّدنا عيسى (سلامه علينا) هو أوّل من بُعث من الموت بجسم خارق لا يبلى. ولا شك أنّ أناس آخرون بُعثوا أحياء بأجسامهم الدّنيويّة قبل زمن سيّدنا عيسى، ولكنّهم ماتوا مرّة أُخرى في انتظار بعثهم يوم القيامة.

في السّماواتِ.[٢]
21 ولقد كُنتُم في ما مَضى مُبعَدينَ عنِ اللهِ، في عَداءٍ مَعَهُ بِسَبَبِ أفعالِكُم وأفكارِكُم الشِّرّيرةِ، 22 لكِنّ اللهَ أعادَكُم إليهِ حينَ ضَحَّى السَّيّدُ المَسيحِ بجِسمِهِ عَلى الصَّليبِ، حَتّى يأتيَ بِكُم أمامَهُ تَعالى مَنذورينَ، طاهِرينَ مِن كُلِّ الشَّوائبِ، لا لومَ عليكُم، 23 على أن تَظَلّوا ثابِتينَ في إيمانِكُم، ولا تَنحَرِفوا أبَدًا عن يَقينِكُم بِبُشرى السَّيّدِ المَسيحِ الّتي بُلِّغَت إليكُم. وبُلِغَت إلى العالَمينَ أيضًا، وأنا بولسُ أصبَحتُ بِهذِهِ الرِّسالةِ داعيَةً بَشيرًا.

كفاح بولس في الدّعوة

24 فَرِحٌ أنا بِالآلامِ الّتي مِن أجلِكُم أُعانيها، لأنّي أُعَوِّضُ عَن غَيابِ السَّيّدِ المَسيحِ حينَ أُلاقيها، فأتَلَقّى العَذابَ نِيابةً عَنهُ مِن أجلِ جَماعتِهِ وأفديها 25 وإنّي لَخادِمُها وراعيها، لأنّ اللهَ كَلَّفَني نَشْرَ الرِّسالةِ كامِلةً إليكُم أنتُم مِن غَيرِ اليَهودِ. 26 يا لَهُ مِن سِرٍّ أخفاهُ اللهُ على مَدى العُصورِ والأزمانِ وها هو الآنَ يُجَلّيهِ لِعِبادِهِ الصّالِحينَ،[٣] 27 لأنّ اللهَ أرادَ لهُم أن يَعرِفوا أنّ كُنوزَ سَيّدِنا المَسيحِ وبَهاءَهُ تَشمُلُكُم أنتُم أيضًا يا مَن لَستُم يَهودًا، وهذا هو السِّرُّ العَظيمُ: إنّ مَولانا المَسيحَ يَحيا في قُلوبِكُم أنتُم أيضًا، وأنّهُ أساسُ ما أنتُم عليهِ مِن يَقينٍ في حُصولِكُم يَومَ الدّينِ على مَقامٍ مَجيدٍ. 28 إنّنا دُعاةٌ لهُ (سلامُهُ علينا) بَينَ النّاسِ، مُنذِرونَ مُبَشِّرونَ بِكُلِّ حِكمةٍ حَتّى نُقَدِّمَهُم للهِ راشِدينَ في إيمانِهِم بِالسَّيّدِ المَسيحِ،[٤] 29 وهذا هو هَدَفُ سَعيي واجتِهادي،

---

(٢) عندما يقول بولس إنّ الله قد أعاد إليه كل ما في السماوات، فهو يقصد أن الله سيجبر الشياطين وغيرها من الكائنات الغيبية الشريرة أن تخضع للسيد المسيح. ورغم ذلك، ستواصل هذه الكائنات نشاطها في العالم، لكنّها في الواقع لا تملك قوّةً حقيقيةً تتحدّى بها مملكة سيدنا المسيح.

(٣) تشير الكلمة اليونانية (mysterion أي السرّ أو اللّغز)، في الأديان الوثنيّة التي كانت سائدة في كولوسي، إلى الشّعائر السرّية والرّموز التي يتمّ إخفاؤها عن الذين لم يدخلوا ديانتهم بعد. واستخدم بولس الكلمةَ بالمعنى نفسه الذي استخدمه النبيّ دانيال، مشيرا إلى مقصد الله من الخطة السرّيّة لأواخر أيّام العالم. وكانت هذه الخطّة مخفيّة عن أذهان النّاس سابقًا، غير أنّها ظهرت مع السيّد المسيح بشكل واضح لجميع النّاس.

(٤) استخدم العرفانيّون وأعضاء الأديان السرّيّة كلمة "كامل" أو "راشد" كتعبير لوصف

بِفَضلِ قوّتِهِ الفائِقةِ (سلامُهُ علينا) الّتي تَعمَلُ في فؤادي.

2

الفصل الثّاني

تحذير من المضلّلين

[1] إخوَتي في كولوسي، أُريدُ لكُم أن تَعلَموا مَدى جِهادي لأجلِكُم ولأجلِ المؤمِنينَ في مَدينةِ اللاّذقيّةِ،(٥) ولأجلِ بَقيّةِ الّذينَ لم يُقابِلوني شَخصيًّا مِثلَكُم، [2] حَتّى يَكونوا في قُلوبِهِم أقوياءَ، فتَتَمَتَّنَ بَينَهُم أواصِرُ المَحَبّةِ، ويَرسُخَ يَقينُ إدراكِهِم لِسِرّ اللهِ ألا وهو سَيِّدُنا المَسيحُ، [3] ففيهِ تَكمُنُ كُنوزُ الحِكمةِ والمَعرِفةِ الإلهيّةِ. [4] وإنّي لأُخبِرُكُم بِهذا حَتّى لا يَخدَعَكُم المُخادِعونَ بِمَعسولِ الكَلامِ، [5] فإن كُنتُ لا أقيمُ بَينَكُم بِالجِسمِ، فإنّي أُقيمُ مَعَكُم بِالرُّوحِ، وإنّي فَرِحٌ بِكُم لأنّي أراكُم مُتَكاتِفينَ ثابِتينَ في إيمانِكُم بِمَولانا المَسيحِ.

الانتصار على الشّياطين

[6] وما دُمتُم لِمَولانا عيسى المَسيحِ مُبايعينَ، فاسلُكوا سَبيلَهُ، [7] واثبُتوا على كُلِّ ما عَلَّمَكُم الأخُ زُهري بِخُصوصِهِ (سلامُهُ علينا). وعِندئذٍ تَزدادونَ إيمانًا بِهِ، فتَتَجَذَّرونَ فيهِ وتَتَعَمَّقونَ وتَبنونَ أنفُسَكُم على هَديِهِ، شاكِرينَ اللهَ الشُّكرَ كُلَّهُ. [8] وانتَبِهوا أحبابي، ألاّ يَغويكُم أحَدٌ فتَكونوا أسرى ضَلالِهِ بِفَلسَفَتِهِ وفِكرِهِ الخادِعِ القائِمِ على عاداتِ البَشَرِ ووَسوَسةِ الكائِناتِ الغَيبيّةِ،(٦) لا على أساسِ حَقيقةِ السَّيِّدِ المَسيحِ. [9] لأنّ الفَيضَ الرَّبّانيَّ قد حَلَّ في جَسَدِهِ (سلامُهُ علينا)،

الذين انضمّوا إلى ديانتهم، فتعلّموا شعائر سريّة ومعرفة خاصّة بهم. أما بولس فقد استخدم هذا التعبير ليشير إلى المؤمنين الذين يعرفون ما يرضي الله ويواظبون على فعله.

(٥) مدينة اللاّذقية هنا لا تشير إلى المدينة التي تحمل الاسم نفسه في سوريا، وإنما هي مدينة كانت تقع في غرب ما يُعرف بتركيا اليوم.

(٦) تشير الكلمة اليونانية "ستويكيا" (stoicheia) والتي تُرجِمَت هنا بعبارة "الكائنات الغيبيّة"، إلى عناصر الطبيعة، إضافة إلى الشّمس والقمر والنّجوم التي اعتبرها الفرس والإغريق وغيرهم آلهة أو كائنات غيبيّة.

10 وتَبلُغونَ هذا الفَيضَ بِهِ، إنّهُ يَفوقُ ما في الغَيبِ مِن مَلائِكةٍ وجِنٍّ وشَياطين. 11 ولقد وُسِمتُم بِحَقيقةِ الخِتانِ، فخَلَعتُم عن نُفوسِكُم أهواءَها، ويَكونُ هذا خِتانًا في الرُّوحِ، الّذي أجراهُ السَّيِّدُ المَسيحُ، وهو لَيسَ خِتانًا خارِجيًّا يُصيبُ الجِسمَ بِالجُروحِ. 12 إنّكُم تَطَهَّرتُم بِالماءِ دَليلاً على إيمانِكم بِهِ (سلامُهُ علينا)، وكَأنّكُم بذلِكَ تَدفِنونَ حَياتَكم القَديمةَ، وكَما قامَ (سلامُهُ علينا) مِن المَوتِ، فقد وُهِبتُم كذلِكَ حَياةَ الخُلدِ لأنّكُم وَثقتُم بِقُدرةِ اللهِ، وهي القُدرةُ الّتي بِها بُعِثَ السَّيِّدُ المَسيحُ مِن المَوتِ خالِدًا. 13 وقد كُنتُم أيُّها الأغرابُ مِن الهالِكينَ، لأنّكُم كُنتُم في الوَثَنيّةِ ونُفوسُكُم غَيرُ مُطَهَّرة، غَيرَ أنّ اللهَ أحياكُم مَعَ السَّيِّدِ المَسيحِ، إذ عَفا عن خَطايانا كُلِّها. 14 وألغى التَّقاليدَ الّتي فَرَضَها الشَّرعُ القَديمُ وما يَتَعَلَّقُ بها مِن تَعقيدات تَحُولُ بَينَنا وبَينَ اللهِ، وقد خَلَّصَنا اللهُ مِنها وعَلَّقَها على الصَّليبِ،(٧) 15 وهكذا نَزَعَ سِلاحَ الجِنِّ والشَّياطينِ مِنهُم، فهُزِموا وقُيِّدوا أذِلاّءَ في رَكبِ مَولانا.

ترك عادات الزّهد

16 فلا تَسمَحوا إذَن لِلنّاسِ أن يَحكُموا عَليكُم ويُلزِموكُم باتّباعِ تَقاليدَ دينيَّةٍ هَمُّها المَأكَلُ والمَشرَبُ والاحتِفالُ بِأعيادِ بَني يَعقوبَ أو فاتِحِ الشَّهرِ أو يَومِ السَّبتِ،(٨) 17 وهذِهِ التَّقاليدُ لَيسَت سِوى ظِلٍّ يُشيرُ إلى الحَقيقةِ المُنتَظَرةِ، ألا وهْيَ حَقيقةُ السَّيِّدِ المَسيحِ. 18 فلا تَسمَحوا لأحَدٍ أن يُدينَكُم ويُصِرَّ على

---

(٧) كان الشّخص المديون بمال في زمن بولس يوقّع على صكّ الدّيون للشّخص الذي أدانه حتّى يعترف بقيمة ديونه. وبناءً على هذه العادة، كان فقهاء اليهود يعتبرون أنّ من ارتكب خطيئة فقد أصبح مَدينا لله. ولكن من الواضح أنّ الدّعاة الدجّالين في كولوسي كانوا يفرضون بعض التّقاليد اليهودية على النّاس (انظر 2: 16 و2: 21-22)، ويؤكّدون على ضرورة اتّباعها لأنّ كل من يخالفها يخطئ في حق الله. أما بولس فيؤكد هنا أنّ الله قد حذف أو ألغى ذلك الصكّ، وهذا يعني أنّ تجاهلنا لتلك التّقاليد لا يُعتبر ذنبًا، والله لا يؤاخذنا عليها. وهذا لا يعني أنّ أحكام شريعة النّبي موسى قد نُسِخَت أو لم تعد تمثل معيار الحقّ والباطل عند الله.

(٨) من الواضح أنّ هذه التّقاليد بما فيها من تعيين أيّام خاصّة مقدّسة، تستند إلى الثقافة اليهودية، ولكن يبدو أنّ هدف الذين يبثّون هذه العقائد الخاطئة في كولوسي هو دعوة النّاس إليها لكسب دعم الملائكة ورضاها. وفي بعض المجموعات الدّينيّة الوثنيّة منعوا بعض الأطعمة لتحضير النّاس للانضمام إليها.

إخضاعِكُم لِعاداتِ الزُّهدِ أو المُغالاةِ في احترامِ المَلائكةِ، زاعِمينَ أنّهُم رأوا ذلِكَ في رؤى أثناءَ شَعائرِهِم لإدخالِ النّاسِ إلى جَماعاتٍ وَثَنيّةٍ سِريّةٍ، وهُم في الحَقيقةِ مُتَكَبِّرونَ بأفكارِهِم الدُّنيَويّةِ الواهيةِ،[٩] 19 فأضاعوا الصِّلةَ بالسَّيِّدِ المَسيحِ الّذي هو رأسُ أُمّةِ الجَسَدِ الواحِدِ، فكَما تُشَدُّ مَفاصِلُ الجِسمِ كُلِّهِ بِالرّأسِ فتَتَغَذّى وتَنمو، كذلِكَ يَرعى سَيِّدُنا المَسيحُ كُلَّ المؤمِنينَ ويَجعَلُهُم يَتَقَرَّبونَ إلى اللهِ. 20 أي أحبابي، إنّكُم حينَ أصبَحتُم مِن أتباعِ السَّيِّدِ المَسيحِ، فقد تَحَرَّرتُم مِن سُلطانِ الكائِناتِ الغَيبيّةِ في هذِهِ الدُّنيا، كَما يَتَحَرَّرُ العَبدُ المَيتُ مِن سُلطانِ طاعةِ الحُكّامِ. فلِماذا تَخضَعونَ إلى الآنَ لِتَقاليدِ أهلِ الدُّنيا؟! إنّما هي مِن وَسوَسةِ تِلكَ الشَّياطين 21 مِثلَ: "اجتَنِب هذا، واحذَر مَذاقَ هذا، واحتَرِس مِن إمساكِ ذلِكَ، إنّها تُنَجِّسُكُم". [١] 22 إنّها لَيسَت سِوى عاداتٍ تَتَعَلَّقَ بأُمورٍ زائلةٍ تُستَهلَكُ، نعم هي لا تَتَعَدَّى أن تَكونَ سِوى أحكامٍ وتَعاليمَ بَشَريّةٍ 23 وهي تَبدو كَأنّها قَولٌ حَكيمٌ في نَظَرِ الّذين اختاروا هذِهِ العَقيدةَ طَوعًا، بِما فيها مِن تَقَشُّفٍ وتَعَسُّفٍ على الجِسمِ، وفي النِّهايةِ هي لا تَقوى على رَدِّ أهواءِ النَّفسِ.

3

الفصل الثّالث

اسعَوا إلى الأمور الإلهيّة

1 أيُّها الأحبابُ، لقد أقامَ اللهُ السَّيِّدَ المَسيحَ مِن المَوتِ، فوَهَبَ لكُم مَعَهُ حَياةَ الخُلودِ، فاجعَلوا سَعيَكُم إلى كُلِّ ما هو سَماويٌّ رَبّانيٌّ، حَيثُ تَلقَونَ السَّيِّدَ

---

[٩] يستخدم بولس هنا تعبيرا تقنيّا يشير إلى المرحلة النّهائيّة في شعائر الاحتفال للدّخول في إحدى الدّيانات السرّيّة المحليّة. فقد كان بعض الدجّالين يحاولون تضليل المؤمنين في كولوسي مدّعين أنّ كلّ من أنهى تجربة شعائر هذا الاحتفال يمكنه الحصول على حماية من الكائنات الشريّرة الخارقة: نجوما كانت أم كائنات غيبيّة فوق الأرض أو أسفلها.

[١] إذا أطاع المؤمنون في كولوسي التعاليم الخاطئة التي ينشرها المضلِّلون، فإنّهم سيعودون إلى الوضع الأوّل عندما كانوا وثنيّين أذلاّء تحت سيطرة الشّياطين (أي قبل أن يؤمنوا بسيّدنا المسيح)، وهذه الشّياطين تحاول أن تسيطر عليهم من خلال التّعاليم الباطلة.

المَسيحَ جالِسًا على يَمينِ اللهِ، [2] فاتْرُكوا أُمورَ الدُّنيا، واعتَنوا بِالشّأنِ الرَّبّانيِّ المَجيدِ، [3] فلقد أصبَحتُم الآنَ تابِعينَ لِلسَّيِّدِ المَسيحِ، وانقَطَعتُم عن حَياتِكُم القَديمةِ، وحَياتُكُم الجَديدةُ مُستَتِرةٌ في الغَيبِ عِندَ اللهِ مَعَ السَّيِّدِ المَسيحِ، [4] وعِندَما يَتَجَلَّى، يَرفَعُ اللهُ قدْرَكُم عَلانيَةً كَما رَفَعَ قَدرَهُ (سلامُهُ علينا). [5] فاقتُلوا صَوتَ الأهواءِ في نُفوسِكُم: صَوتُ الفِسقِ والفَحشاءِ والشَّهَواتِ والرَّغَباتِ الهَوجاءِ والطَّمَعِ الّذي يُضاهي عِبادةَ الأصنامِ، [6] فهذِهِ الأهواءُ بابٌ يَحُلُّ مِنهُ غَضَبُ اللهِ على مَعشَرِ العُصاةِ الآثِمينَ، [7] وحينَ كُنتُم مِن أهلِ الدُّنيا كُنتُم تَقتَرِفونَ هذِهِ الآثامَ أيضًا. [8] والآنَ فقد آنَ الأوانُ، فتَجَنّبوا الغَضَبَ والهَيَجانَ والخُبثَ والشَّتمَ وبَذيءَ الكَلامِ، [9] ولا تَكذِبوا بَعضُكُم على بَعضٍ، لأنّكُم نَزَعتُم النَّفسَ القَديمةَ وأعمالَها، [10] وتَحَلَّيتُم بحُلّةِ النَّفسِ الجَديدةِ الّتي تَتَجَدَّدُ فيكُم وتَنمو بمَعرِفةِ الخالِقِ كُلَّ يَومٍ، حَتّى تَتَّصِفوا بِصِفاتِهِ تَعالى، [11] لِذلِكَ ما هَمَّكُم أن يَكونَ بَعضُكم يَهوديًّا أو غَيرَ يَهوديّ، مَختونًا أو غَيرَ مَختونٍ، عَبدًا أو حُرًّا، بَربَريًّا أو أعجَميًّا. فالمَسيحُ هو الأمرُ العَظيمُ، وهو مُقيمٌ فيكُم على حَدٍّ سَواء.

[12] ألا إنّكُم أنتُم الّذينَ اختارَهُم اللهُ، ونَذَرَهُم وأحَبَّهُم،(٢) فتَحَلّوا بِهذِهِ الأخلاقِ: بالحَنانِ واللُّطْفِ والتَّواضُعِ والوَداعةِ والصَّبرِ، [13] واحتَمِلوا بَعضُكم بَعضًا، وإن أخطَأ أحَدٌ في حَقِّكَ فاصفَحْ عَنهُ، كَما صَفَحَ عَنكُم السَّيِّدُ المَسيحُ. [14] والمَحَبّةُ هي تاجُ هذِهِ الخِصالِ كُلِّها، فتَحَلَّوْا بِها لأنّها تَجمَعُ كُلَّ هذِهِ الخِصالِ في وَحدةٍ مُتَكامِلةٍ. [15] وقد دَعاكُم اللهُ إلى السَّلامِ إذ ضَمَّكُم إلى أُمّةِ السَّيِّدِ المَسيحِ كأعضاءٍ لجَسَدٍ واحِدٍ، فاجعَلوا هذا السَّلامَ يَسودُ قُلوبَكُم، وكونوا للهِ شاكِرينَ، [16] وليَسكُنْ أفئِدتَكُم كَلامُ السَّيِّدِ المَسيحِ بِكُلِّ غِناهُ، وعَلِّموا وأرشِدوا بَعضُكُم بَعضًا بِكُلِّ حِكمةٍ. وابتَهِلوا للهِ ورَتِّلوا آياتٍ مِن الزَّبورِ وأناشيدَ دينيّةٍ وسَبِّحوا بِحَمدِهِ دائِمًا مِن كُلِّ قُلوبِكُم، [17] واجعَلوا قَولَكُم وفِعلَكُم مَهما يَكُن، لائِقًا بِمَقامِ مَن يُمَثِّلُ سَيِّدَنا عيسى، رافِعينَ بحقِّهِ الشُّكرَ للهِ الأبِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

---

(٢) كانت عبارات "أُمّة الله المختارة" و"المنذورون" و"الأحباء"، مصطلحات قصد بها الأنبياءُ القدامى شعب بني إسرائيل، لكنّ الحواري بُولُسَ هنا يوظفها للإشارة إلى جميع أتباع سيدنا عيسى المسيح من كلّ الأمم مهما كان انتماؤهم العرقي أو الديني.

المؤمن والأسرة

18 أيّتُها الزَّوجاتُ، احتَرِمنَ مَكانةَ أزواجِكُنَّ، كَما يَليقُ بِالزَّوجةِ الّتي تؤمِنُ بِسَيّدِنا عيسى. 19 وأنتُم أيُّها الأزواجُ، أحِبّوا زَوجاتِكُم ولا تُعامِلوهُنَّ بِقَسوةٍ.(٣) 20 وأنتُم أيُّها البَنونُ والبَناتُ، أطيعوا والِديكُم في كُلِّ شَيءٍ، فهذا يُرضي سَيّدَنا عيسى. 21 يا أيُّها الآباءُ، لا تَدفَعوا أبناءَكُم إلى الغَضَبِ لِكَي لا يَيأسوا. 22 يا أيُّها العَبيدُ، أطيعوا أسيادَكُم في هذِهِ الدُّنيا في كُلِّ شَيءٍ، فأطيعوهُم لا أمامَ عُيونِهِم فقط، بل بِقَلبٍ يَملؤُهُ الوَفاءُ، لأنّكُم مِن الّذينَ يَهابونَ سَيّدَنا المَسيحَ عن تَقوى. 23 ومَهما عَمِلتُم فاجعَلوا عَمَلَكُم نابِعًا مِن القَلبِ، كَأنّما تَتَوَجَّهونَ بِهِ لسَيّدِنا (سلامُهُ علينا) لا لِعامّةِ النّاسِ. 24 واعلَموا أنّ سَيّدَنا سيُكافِئُكُم بِما وَعَدَ اللهُ مِن ميراثٍ، إنّما السَّيّدُ المَسيحُ هو فِعلاً مَن تَتَوَجَّهونَ إليهِ بِعَمَلِكُم، 25 أمّا مَن يَفعَلُ الشَّرَّ، فإنّهُ يَنالُ جَزاءَ شَرِّهِ، واللهُ لا يَظلِمُ أحَدًا.

---

(٣) كان المعلِّمون الوثنيُّون الذين يعلّمون الأخلاق عادةً ما يشدّدون على ضرورة أن يقود الزوج زوجته ويسيّر أمرَها، أمّا بُولُسُ فقد شدّد هنا بدلاً من ذلك على ضرورة أن يحبَّ الزوج زوجته.

4

الفصل الرّابع

[1] يا أيُّها الأسيادُ، عامِلوا عَبيدَكُم بالعَدلِ والقِسطِ، واعلَموا أنّكُم أيضًا عَبيدٌ للهِ سَيِّدِ السَّماءِ.(٤)

وصايا أخيرة

[2] واظِبوا على الصَّلاةِ والدُّعاءِ، مُتَيَقِّظينَ حامِدينَ، [3] وتَوَجَّهوا بِالدُّعاءِ مِن أجلِنا حَتّى يَفتَحَ اللهُ لنا بابًا لنُبَلِّغَ رِسالتَهُ ونُعلِنَ سِرَّ السَّيِّدِ المَسيحِ، فأنا مِن أجلِ ذلِكَ مُقَيَّدٌ هُنا، [4] فادعوا لي حَتّى أقومَ بِواجِبي فأُعلِنَ الرِّسالةَ جَهرًا. [5] تَصَرَّفوا بِحِكمةٍ مَعَ الّذينَ لم يؤمِنوا بَعدُ بِسَيِّدِنا المَسيحِ، واغتَنِموا كُلَّ فُرصَةٍ لِهِدايتِهِم إلى الحَقِّ، [6] واجعَلوا حَديثَكُم مَعَهُم طَيِّبًا مَليحًا، لِتَعلَموا ما تَقولونَ، فتُجيبوهُم جَوابًا صَحيحًا.

تحيّات ختاميّة

[7] وسيُعلِمُكُم الأخُ طِيخي بِكُلِّ أخباري، فهو مُعاوِني الأمينُ ورَفيقي في الدَّعوةِ إلى رِسالةِ سَيِّدِنا (سلامُهُ علينا). [8] أرسَلتُهُ إليكُم بِصِفةٍ خاصّةٍ ليُخبِرَكُم بِأحوالِنا ويَشُدَّ مِن عَزائِمِكُم في هذا الضّيقِ الّذي نَحنُ فيهِ، [9] وقد أرسَلتُ مَعَهُ أيضًا أخانا المَحبوبَ الأمينَ نافِعًا وهو واحِدٌ مِن جَماعتِكُم، وسيُخبِرانِكُم بِكُلِّ ما وَقَعَ هُنا مِن أحداثٍ.

[10] يُسَلِّمُ عليكُم أخونا أرِسْتَرْكي المُعتَقَلُ مَعي هُنا، وكذلِكَ مَرقُسُ قَريبُ بَرنابا، وأوصَيتُكُم سابِقًا أن تُرَحِّبوا بِمَرقُسَ إذا زارَكُم. [11] ويُسَلِّمُ عليكُم أيضًا يَشوعُ الصِّدّيقُ. وكُلُّ الّذينَ ذَكَرتُهُم هُنا هُم إخوتُنا في الإيمانِ مِن اليَهودِ، وهؤلاءِ يَعمَلونَ مَعي وَحدَهُم في الدَّعوةِ إلى مَملَكةِ اللهِ، وهُم خَيرُ المُساعِدينَ

---

(٤) يشير بولس في هذه الرّسالة بشكل واضح إلى مساواة النّاس جميعًا أمام الله، لكنّه لم يتعامل مع العبوديّة كمؤسسة، بما أنّه لم يتمكّن من تغييرها أو إلغائها. بل كان يرشد المؤمنين ويدعوهم إلى التصرُّف وفقًا لمبادئ المساواة التي تتضمّنها رسالة السيّد المسيح. ونجد هذه الفكرة بشكل واضح في رسالته التي كتبها إلى فِليمون.

لي.[٥] 12 ويُسَلِّمُ عليكُم أخوكُم في جَماعةِ المؤمِنينَ، زُهري، وهو تابِعٌ
مُخلِصٌ لِسَيِّدِنا المَسيحِ، ويَبتَهِلُ إلى اللهِ مِن أجلِكُم بِإلحاحٍ دائِمًا، أن يَجعَلَكُم
راشِدينَ وفي إيمانِكُم راسِخينَ وأن تَتَمَتَّعوا بيَقينِ مَرضاةِ اللهِ في سَعيِكُم،
13 وإنّي أشهَدُ يا إخوتي، أنّهُ يَهتَمُّ بِأُمورِكُم كَما يَعتَني بِجَماعاتِ المؤمِنينَ في
مَدينةِ اللاّذِقيةِ وفي مَدينةِ هيرابْلُس. 14 ويُسَلِّمُ عليكُم الحَبيبُ لوقا الطَّبيبُ،
وأخونا ديماس أيضًا. 15 سَلِّموا على الإخوةِ والأخواتِ في اللاّذِقيةِ، وعلى
الأُختِ نِمْفاسَ وعلى جَماعةِ المؤمِنينَ الّذينَ يَجتَمِعونَ في دارِها.
16 وأوصيكُم بَعدَ قِراءةِ هذِهِ الرِّسالةِ أن تُرسِلوها إلى جَماعةِ الإيمانِ في
اللاّذِقيّةِ ليَقرؤوها أيضًا، واقرؤوا أنتُم بدَورِكُم ما أرسَلتُهُ إلى إخوانِنا في
اللاذقيّةِ. 17 وبَلِّغوا أرْشيبي ما يَلي: "اِحرِصْ على إتمامِ العَمَلِ الّذي كَلَّفَكَ بِهِ
مَولانا". 18 وها أنا أكتُبُ لكُم تَحيَّتي بِخَطِّ يَدي: سَلامٌ مِنّي أنا بولسُ،
واذكُروا أنّي هُنا رَهينُ الاعتِقالِ، فليَكُنْ فَضلُ اللهِ عَليكُم.[٦]

---

[٥] تعجّب بعض قرّاء هذه الرّسالة في زمن بولس دون شكّ عندما رأوا كيف سعى المؤمنون من اليهود أو غيرهم سويًّا إلى نشر الدّعوة إلى الإيمان بالسّيّد المسيح.

[٦] دأب الناس في القرن الأول للميلاد على إملاء رسائلهم على ناسخ، لكنهم كانوا يحرصون على كتابة الجملة أو الجملتين الأخيرتين من الرسالة بخطّ أيديهم لتأكيد صحتها وأصالتها. وكان الحواري بولس يتّبع هذه العادة.